

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[107] لَكَادِ يُؤْنَسُ (1). والقرآن الكريم يفضح المنافقين لدى الكافرين أيضاً ،
ويبيّن كذبهم ونكولهم إذ يقول: (الَّذِينَ تَرَى إِلَيْنَا الْكَافِرِينَ زَافَقُوا يَفْقَهُوا يُفْقَهُونَ
لَا يُخَوِّنُهُمْ الْكَافِرِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَتَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فَيْكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَتَنذِمْنَ رُسُلَكُمْ وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ إِنْهُمْ لَكَادِ يُؤْنَسُ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا
يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
لَيُؤْلِنَنَّ الْأَوْدِيَّارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) (2). جدير بالذكر أن القرآن استعمل
عبارة (إِسْتَوْقَدَ نَارًا) أي إنهم استفادوا للنار من "النار" ذات الدخان والرماد
والحريق، بينما يستنير المؤمنون بنور الإيمان الخالص وبضوئه الساطع. باطن المنافقين
ينطوي على النار، وإن تظاهروا بنور الإيمان، وإذا كان ثمة نور فهو ضعيف في قوته وقصير
في مدته. هذا النور الضعيف المؤقت، إمّا أن يكون إشارة إلى الضمير والفطرة التوحيدية،
أو إشارة إلى الإيمان الأولي لهؤلاء المنافقين حيث أُسُدت عليه ستائر مظلمة على أثر
التقليد الأعمى والتعصب المقيت واللجاج والعداء، فتحوّلت ساحة حياتهم لا إلى ظلمة، بل إلى
"ظلمات" في التعبير القرآني. وهؤلاء سيفقدون في النهاية قدرة الرؤية الصحيحة، والإستماع
الصحيح، والنطق الصحيح، وهذه نتيجة طبيعية - كما ذكرنا سابقاً - للإستمرار على الإنحراف
والإصرار على الغي، حيث يؤدي إلى إضعاف آليات الإدراك لدى الإنسان فيرى الحقائق مقلوبة،
فالخير في نظره شرّ، والملك شيطان، وهكذا. على أي حال هذا التشبيه يوضّح واحدة من
حقائق النفاق، وهي إن عمر النفاق والتذبذب لا يدوم طويلاً، قد يستطيع المنافقون لمدة
قصيرة أن يتمتعوا _____ 1 - المنافقون، 1 و 2. 2 -
الحشر، 11 و 12.